

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره العلمية والدعوية

الجزء الثاني

الأربعاء والخميس
٢٤-٢٣ ربيع الأول ١٤٤١



(03)
منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي في التعامل مع
المخالفين في العقيدة
أ.د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي

الرعاية

مصرف الإنماء
alinma bank

القضيب

سيكيم
Sipchem
EXCELLENCE everywhere

منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي
في التعامل مع المخالفين في العقيدة

أ.د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي
الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم. الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان. والصلة والسلام على المبعوث رحمة للأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، ذوي النهى والأفهام، وعلى التابعين لهم بإحسان، أولي العلم والعرفان. أما بعد:

فلقد كان الشيخ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي، -رحمه الله-: نجماً ساطعاً في سماء القرن الرابع عشر الهجري، وعلماً شامخاً في بيادء الأمة العربية الإسلامية. وعاش أحوالاً جساماً ألمت بال المسلمين، في منعطف تاريخي خطير، يمثل نقلة واسعة بين موروث الحضارة الإسلامية، وإرهاصات الحضارة المادية المدنية، وما صاحب ذلك من سجالات فكرية، ومنازلات عقدية، دارت رحاها، ولا تزال، بين دعاء الأصالة والتمسك بالكتاب، وبين دعاء التحرر والانفلات، الراكمين خلف سراب الدنبوية (العلمانية) بفلسفتها المادية، وتجلياتها المدنية.

ورغم أن الشيخ، -رحمه الله-، عاش في بيئه نجدية مغلقة، تفتقر إلى وسائل الاتصال من جهة، وتحذر من التواصل مع المحيط، لدواعٍ شتى، إلا إن همته سمت به إلى ارتياح الآفاق، كما أن اهتمامه بأمر المسلمين دعاه إلى مد الجسور، ومحاورة أهل زمانه من الموافقين والمخالفين، على اختلاف مراتبهم؛ قريباً وبعداً.

إن تجربة الشيخ عبد الرحمن السعدي في التعامل مع نوازل زمانه، لا سيما النوازل العقدية، لجدية بالدرس والتأمل، بشقيها؛ العلمي النظري، والعملي المركبي. والحاجة لا تزال ماسة إلى فقه التعامل مع مختلف الفرقاء الذين تعجب بهم الساحة العقدية والفكيرية، وتعصف بعقول كثير من ذراري المسلمين، بفعل الانفتاح غير المسبوق بين الأمم. وذلك لتحقيق هدفين مشروعين:

أحدهما: صيانة الأمة من عاديات الفتن الداخلية والخارجية.

الثاني: اهتياط هذه الفرصة التاريخية في الانفتاح والحربيات النسبية، للدعوة إلى الإسلام، وانفكاك البشرية من التخبط والتيه الذي علقت فيه، باليقنة الإلهية، كما قال تعالى ﴿لَوْ كَيْفَ لَمْ يَكُنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُفْكِرُونَ حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ الْبَيِّنَاتُ ۖ ۚ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَنْهَا ۖ هُنَّا مُهَمَّهُرَةٌ ۖ ۚ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمةٌ ۖ ۚ﴾ [البيت: ۱-۳].

لقد سار الشيخ عبدالرحمن السعدي في الغياب المظلم، والبحر الخضم، بنور من الله، مستهدياً بكتاب الله، وسنة رسول الله، مؤيداً بنفس مطمئنة، وقلب مشفق ناصح، وخلق سمع كريم، فثبتَ الله به قلوبًا واجفة، ونفوسًا مضطربة. وكانت خطبه، ومؤلفاته بسلماً شافياً لجرائم غائرة، أحدثتها الهجمة المادية الإلحادية الغربية على بقايا الرابطة الإسلامية المتهالكة في القرن الرابع عشر الهجري. وما أشد انطباق هذا المثل القرآني البديع على سيرة هذا الإمام: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَتَبَيَّنُ بِهِ، فِي أَنْتَانِ ۖ ۚ﴾ [الأنعام: ۱۲۲].

وفي هذا البحث المعنون بـ(منهج الشيخ عبدالرحمن السعدي في التعامل مع المخالفين في العقيدة) سوف نستقرئ المعلم المنهجية التي تميز بها في مؤلفاته العلمية وتصرفاته العملية، عبر المباحث التالية:

- ١- التبيين والثبت.
- ٢- التعويل على الدليل.
- ٣- الإقناع العقلي.
- ٤- الرفق والنصح.
- ٥- الأدب وغة اللسان.
- ٦- التغليظ على الملاحدة والباطنيين.

٧- العدل والإنصاف

٨- التماس العذر.

٩- الدعوة للحق وجمع الكلمة.

١٠- التأليف والنشر.

ونتبع ذلك بختامة. ولعل هذه المعالم الشرعية في التعامل أن تكون نبراساً لمعاصريه من علماء الإسلام ودعاته، في وجه مخالفاتهم من اليهود والنصارى والملحدين، وأهل الأهواء والبدع من المسلمين. رحم الله (ابن سعدي)، ورفع درجته في المهدىين، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً.

المعلم الأول: التبيين والتبسيط.

أمر الله نبيه، صلى الله عليه وسلم، وعباده المؤمنين بالعلم، الذي هو : إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وذم اتباع الظن، فقال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا يَأْتُوا بِالظَّنِّ﴾، [النساء: ١٥٧]، وجعله قسيماً للحق فقال: ﴿فَلَمَّا هَلَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَسْتَعْنُوْتَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وبين عدم جدواه، فقال: ﴿وَمَا يَشْعِيْغُ أَكْثَرَهُمْ إِلَّا الظَّنُّ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغَيِّرُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، [يوسوس: ٣٦]، ونهى عنه عباده المؤمنين نهياً مطلقاً، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُوا أَجْتَبْنَاكُمْ مِّنَ الظَّنِّ إِنْ كُنْتُمْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنْ تَرَمُ﴾، [الحجرات: ١٢]، وجعله قرباناً للهوى، المناقض للهوى فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

كما أمر عباده المؤمنين بالتبين عند الالتباس، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُوا إِذَا حَرَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا إِنَّمَا أَفْتَقَ إِلَيْكُمُ الْأَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ

**عَرَضَ الْحَيَاةُ الْدُّنْيَا فَعِنَّدَ اللَّهِ مَقَابِلَةٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُثُنُمٌ مَّنْ قَبْلُ فَمَرَّ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَا تَعْمَلُونَ حَسِيدًا** (٩٤)، [النساء: ٩٤]

قال السعدي، -رحمه الله-، في تفسيرها: (يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا
جهاداً في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبيّنا ويشتبوا في جميع أمورهم المشتبهة. فإن
الأمور قسمان: واضحة، وغير واضحة؛ فالواضحة البيّنة لا تحتاج إلى ثبات وتبين،
لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج
إلى التثبت فيها والتبيّن، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؛ فإن التثبت في هذه الأمور
يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكاف لشروع عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله
ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبيّن له حكمها، فإن ذلك
يؤدي إلى ما لا ينبغي) (١).

**وَقَالَ تَعَالَى: هُوَ الَّذِي أَنْتَمْ حَقًّا إِذَا بَلَغُوكُمْ أَنْتَكُحَ فَإِنْ مَا نَسِمْ مِنْهُمْ رُشِدًا فَأَذْفَوْهُ أَتَيْهُمْ
أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهُمْ إِنْ شَرَافًا وَيَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ عَيْنًا فَلَيَسْتَعْفِفَ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلَيَأْكُلْ
بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمُ لِأَتَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشِدُّوا عَلَيْهِمْ وَقَنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا** (٦)، [الحجرات: ٦]

قال السعدي، -رحمه الله-، في تفسيرها: (وهذا أيضاً من الآداب التي على أولي
الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بنباً؛ أي خبر: أن يشتبوا في
خبره، ولا يأخذوه مجرداً، فإن في ذلك خطراً كبيراً، ووقوعاً في الإثم؛ فإن خبره إذا
جعل بمنزلة خبر الصادق العدل؛ حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف
النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة، بل الواجب
 عند خبر الفاسق التثبت والتبيّن؛ فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه؛ عمل به
وصدق، وإن دلت على كذبه؛ كذب ولم يعمل به؛ ففيه دليل على أن خبر الصادق

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/٣٣٩). عبدالرحمن بن ناصر السعدي. عنابة:
سعد الصميل. ط: دار ابن الجوزي. الأولى ١٤٢٢هـ.

مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه^(١).

وقد التزم الشیخ، -رحمه الله-، هذا المنهج فيما عرض له من حوادث ذات صلة بأمر العقيدة، وغيرها. ومن ذلك ما جرى في منتصف سنة ١٣٦٨هـ، من سُبّ حول شیخ أزهري، اسمه محمد الدناصوری، کان معلماً في «المعهد العلمي السعودي»، في عنيزة، وكان يقرأ على جماعة مسجده من تفسیر ابن کثیر، ونسب إليه بعض الناس أنه يقول، إن أحادیث الآحاد لا تفید اليقین، وأن القرآن الفاظه قطعیة، ومعانیه ظنیة! فبین، -رحمه الله-، کيف تعامل مع هذه الواقعه، فائلاً: (ولما قيل لي ذلك، عرفت أن النقل محرف، وأنه حصل سوء فهم من السامع، لما أعرفه من الرجل من العزم والاحتراز عن كل ما ينتقد، فقلت للنافل: لا بد أن تكون على غير هذا الوضع، وعرفت أنه سيشاع ذلك من غير ثبت، فبادرت وذهبت بمنفسي إلى الدناصوری مستفهمًا له عما وقع)^(٢) وذكر تمام القصة، وتبرؤه مما نسب إليه.

وهذه الحادثة تشير إلى ما يتمتع به الشیخ من أناة، وحسن تقدير وتدبیر وتأثیي. فهو يزن الأقوال في سياقاتها، ويضع الاحتمالات المتعددة، ويمشي برجله، ويتحقق بنفسه، ليرفع الإشكال. وللقصة دلالات أخرى تتعلق بجوانب أخرى من هذه المعالم، نبينها في موضعها، إن شاء الله.

المعلم الثاني: التعمیل على الدلیل.

أحیا الله قلوب عباده المؤمنین ونورها بالوحي المبین، كما قال سبحانه
﴿وَذَلِكَ أَوْجَنَّا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَكْتَبْتُ وَلَا إِلَيْمَنْ وَلَكِنْ جَعَلْنَا تُورًا هَدِيٌّ﴾

(١) تيسیر الكریم الرحمن: (٤/١٦٨٩)

(٢) الأرجویة النافعة عن المسائل الواقعه. عنایة وتعليق: هیثم الحداد. إشراف الشیخ: عبدالله بن عقیل.
(ص: ٢٤٨)، ط: دار المعالی، ودار ابن الجوزی. الثانية ١٤٢٠هـ.

يَدُهُ، مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي الْأَسْمَاءِ^(١)
وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ^(٢) [الشورى: ٥٢، ٥٣]، وأمر عباده بطاعته
وطاعة رسوله، والرد إليهما وإلى عند التنازع، ليحمدوا العاقبة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ مَنْ كَفَرُوا فَإِنَّمَا تَنْزَعُمُ فِي شَقِّ
رُدُودِهِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنَّ كُفُّارَهُمْ^(٣) [النساء: ٥٩]. كما أن الله تعالى
وجه نبيه صلى الله عليه وسلم إلى النذارة بالقرآن، فقال: ﴿وَأَرْجِي إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنَ
لِأَنِّي أَنَا أَنَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَنْ يَنْهَا فَإِنَّهَا لَنَّهَا^(٤) [الأنعام: ١٩]، والجهاد به، فقال: ﴿فَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهُهُمْ
بِهِ جِهَادًا كَيْرًا^(٥) [الفرقان: ٥٢]

وعلى هذا المنهي الرشيد درج أئمة الإسلام في التعليم والبيان، وعند المحاجة
والاختصار، فعصمهم الله، وثبت أقدامهم. وقد ذكر الشيخ السعدي، -رحمه الله-،
هذا المعنى وكرره في مواطن كثيرة من كتبه وخطبه وفتاويه. ومن ذلك قوله في بيان
طريقة أهل السنة والجماعة في القول والعمل: (وذلك أن أهل السنة والجماعة،
يعتقدون ويلتزمون أن لا طريق إلى الله وكرامته إلا بالعلم النافع والعمل الصالح.
فالعلم النافع: هو ما جاء به الرسول من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،
فيجتهدون في معرفة معانيها، والتتفقه فيها، أصولاً وفروعاً. ويسلكون جميع طرق
الدلائل فيها؛ دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام. ويبذلون قواهم في
إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله، ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة؛ هي وما
ترفع عليها من أقيسة صحيحة، ومناسبات حكمية^(٦)).

وقد سار الشيخ، -رحمه الله-، على هذا المنهج في سجالاته، ومناظراته
للمخالفين على تفاوت درجاتهم، وعوّل على الدليل، واعتضم به، وزهد في
الطرائق الكلامية المحدثة، والأساليب الفلسفية المزوفة. قال في تفسير قوله تعالى:

(١) أصول العقائد الدينية. (ص: ١٧-١٨)، ط: دار ابن الجوزي. الأولى ١٤٢٤هـ.

﴿فَلَمَّا كَتَبَكُ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَصَابِقٌ لِيَهُ صَدِرَكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَذُورٌ أَزَّ جَاهَةَ مَعْهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ﴾ [هود: ١٢] (وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصدّه اعتراف المعترضين، ولا قدح القادحين. خصوصاً إذا كان القدر لا مستند له، ولا يقدح فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضياً على أمره، مقبلاً على شأنه. وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المفترضين للأدلة التي يختارونها، بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب)^(١). وقد راج في زمان الشيخ سوق الفلسفة والعقلنة، والزهد في الاستدلال بالكتاب والسنّة، والدعوة إلى محاكاة الحضارة المادية الغربية، ومنهجها في التفكير.

جرد الشيخ سيف الحق البخاري منازلته الشهيرة ضد الملاحدة التي سماها الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين)، وبين مرازاً وتكراراً مفرق الطريق بين المؤمنين والملحدين، فقال في مقدمته: (إن الله بعث رسلاً بشرين ومنذرین، وجعل لهم الهداة والأئمة إلى كل علم صحيح نافع، ودين صحيح، وإلى كل صلاح وخير، وخصّ محمداً صلى الله عليه وسلم بأن جعله خاتمهم وإمامهم، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، فيما الهدى والحق والنور... وأعظم الناس انحرافاً عنهما ملاحدة الفلاسفة، وزنادقة الدهريين، وهم أكبر أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وهم شرار الخلق، الدعاة إلى الضلال والشقاء)^(٢)، ثم ساق ثلاثة وثمانين وجهاً في نسف أصول الملحدين، يعول فيها على النص والدليل، وما هدى إليه من الاستنباط والتعليل. ومن شواهد ذلك قوله: (الوجه السابع والأربعون: القرآن

(١) تيسير الكريم الرحمن : (٢/٧٤١-٧٤٢).

(٢) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين. عبدالرحمن بن ناصر السعدي. (ص ٣) ط: مكتبة المعارف. ١٤٠٢ هـ، وانظر مجموع مؤلفات السعدي: (٦/٧)، ط: الميمان ١٤٣٢ هـ.

العظيم أكبر البراهين، والأدلة الدالة على وحدانية الله وكماله، وصدق رسالته، بأنواع إعجازه؛ ببلاغته، وأسلوبه، وتأثيره، وإخباره بالغيب الماضية والحاضرة والمستقبلة، واتفاقه، وعدم اختلافه، وتشريعه، وإصلاحه جميع ما يحتاجه البشر^(١).

ولعمر الله! إنه لأصل يغفل عنه بعض المنافقين عن الدين، بدعوى أن المخالف لا يؤمن بالدليل، فيشتغل بالأدلة العقلية والنظرية، ويهجر النصوص الشرعية! وهذا مسلك مخالف لطريقة الأنبياء والمرسلين، وهدي السلف الصالح من العلماء الربانيين. فأي فائدة للوحى عندهم إذا، إذا لم يوظف في أهم المهام، ويحتاج به على أصل الملة، وينذر به المدعو، ويواجه به المخالف؟! ولكن الصواب جعل الأدلة الشرعية أصلاً، والاعتراض بحقيقة الأدلة العقلية، والفتورية، والحسية، لتتوافر الأدلة في تحقيق المراد.

المعلم الثالث، الإقناع العقلي.

تذرع الشيخ عبد الرحمن السعدي، -رحمه الله-، في منازلاته للمخالفين في مسائل الاعتقاد بكافة الذرائع المقنعة للمخالف. ومن ذلك الأدلة العقلية، والبراهين النظرية المثبتة في عديد من كتبه. وأفرد في ذلك كتاباً سماه : (البراهين العقلية على وحدانية رب ووجوه كماله). قال في مقدمته: (وليس القصد في هذه المحاضرة ذكر الأدلةنقلية عليه؛ فإن الكتاب والسنة فيهما من البراهين والأدلة على ذلك ما لا يعد ولا يحصى، ولا يمكن استيفاء بعضه، وهي واضحة جلية، يعرفها الخواص والعوام، وبعض ذلك كافٍ وافي بالمقصود. ولكننا نريد في هذه المحاضرة أن نشير إشارة يسيرة إلى براهينها العقلية التي يشترك في معرفتها، والخposure لها جميع العقلاة من البشر، ولا ينكرها إلا كل مكابر مستكبر، منايند

(١) المرجع السابق: (ص ٤٨)، وانظر المجموع: (٤٧/٦).

للعقل والدين^(١)

واستعمل هذا الاحتجاج العقلي، بجانب الاستدلال النطلي، في العديد من كتبه، فقد عقد في (الرياض الناضرة) فصلاً في (الإشارة إلى البراهين العقلية والفطرية على ربوبية الله وإلهيته)، كما أن كتابه (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين)، وكتابه: (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراء القصيمي في أغلاله)، طافحان بهذا اللون من الاستدلال مضموماً إلى الأدلة الشرعية.

ومن بديع منهجه في الإقناع استعمال أسلوب المحاورة العقلية بين طرفين في النزاع، كما صنع في رسالته اللطيفة (النصيحة الربانية في الرد على المغترين بدعوة الإلحاد والمدنية الغربية) المعروفة اختصاراً بـ(انتصار الحق)، فقد قال في مستهلها: (هذه صورة محاجرة بين رجلين كانا متصاحبين رفيقين مسلمين، يدينان بالدين الحق، ويشتغلان في طلب العلم جمياً. فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقى، فإذا هذا الغائب قد تغيرت أحواله، وتبدل أخلاقه، فسأله صاحبه عن ذلك؟ فإذا هو قد تغلبت عليه دعابة الملحدين، الذين يدعون إلى نبذ الدين، ورفض ما جاء به المسلمين، فحايله صاحبه، وقلبه لعله يرجع عن هذا الانقلاب الغريب... الخ)^(٢)، ثم يدير، -رحمه الله-، رحى حوار مطمئن بين الناصح والمنصوح، بأسلوب رفيق، وإقناع ملزم، ينتهي بترابع المنصوح، وانتصار الناصح.

(١) البراهين العقلية على وحدانية رب ووجوه كماله. تحقيق: باسل الرشود. (ص: ١٦)، ط: دار ابن الجوزي. الأولى ١٤٢٩ هـ.

(٢) نشرت هذه المحاجرة في مجلة «المنهل» في أعداد متفرقة عام ١٣٧٦. وانظر: مجموع مؤلفات السعدي: (٦/ ٩٣-١١٦).

المعلم الرابع: الرفق والنصر.

امتن الله تعالى على نبيه، صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين بمنة عظيمة، فقال ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِيَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَ الْقَلْبِ لَا تَنْقُضُوا مِنْ حَوْلَكُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوِذُهُمْ فِي الْأَئْمَنِ﴾، [آل عمران: ١٥٩]. وأمره، والمؤمنين من بعده، أمراً صريحاً فقال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ يَالْعِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَهِنَّمَ يَالْقَيْمِ﴾، [النحل: ١٢٥]. وربى النبي، صلى الله عليه وسلم، أصحابه على هذا الخلق الرفيع، فعن عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، قالت: (دخل رهط من اليهود على رسول الله، صلى الله عليه وسلم)، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: فقهتمها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله» فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «قد قلت: وعليكم متفرق عليه»^(١). وقال: (من يحرم الرفق، يحرم الخير)^(٢)، وقال: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)^(٣)، وقال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)^(٤).

وقد نهل الشيخ عبدالرحمن السعدي من هذا المشرب الصافي وتعلّل،

(١) صحيح البخاري: رقم (٦٠٢٤)، صحيح مسلم. رقم (٥٦٥٦). ط: دار السلام.
الثانية: ١٤٢١ هـ.

(٢) صحيح مسلم. رقم (٦٥٩٨).

(٣) صحيح مسلم. رقم (٦٦٠١).

(٤) صحيح مسلم. رقم (٦٦٠٢).

فكان رفيقاً في شأنه كله؛ في منطقه، وكتابته، وتدريسه، وتعامله مع المخالفين من المسلمين. تشهد بذلك سيرته العطرة، وكتاباته الراقية.

وقد قَيَّد فائدة عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِدُّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِإِلَيْهِ هُنَّ أَخْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۚ وَقُولُوا إِمَّا يَأْتِيَنَا إِنْرِزٌ مِّنْ أَنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ ۖ وَإِنَّهُنَّا وَإِنَّهُمْ مُّنْجَدِّونَ ۚ ۝﴾، [العنكبوت: ٤٦]، فقال: (فيها النهي عن المجادلة إلا بالطريقة المثلثى، والحكمة العليا. وفيها: أنه ينبغي لمن ناظر غيره أن يؤسس الأسس التي يتفق عليها المتناظران، ثم إذا حصل الاتفاق، وتم الالتحام، انتقل منه إلى الموضع المختلف فيها بلطف ولين وهدوء^(١)).

ذكر الشیخ محمد بن عثمان القاضي، في ترجمة الشیخ محمد بن عبدالعزيز المطوع، قاضي عنیزة، رحمهما الله، أنه قال: (كنت في مطلع عمري مع أخي وبعض المتشددين الإخوان، فانخرطت في سلوكهم، وكنا نشدد في شرب الدخان، ونكفر من يعمل بالمعاصي، بلا دليل شرعي، وبحذر ونني من القراءة على شيخنا عبدالرحمٰن بن سعدي ... ويقول شيخنا عبدالرحمٰن بن سعدي: إنه في بداية طلبه مع تلاميذه طلب مني المناقشة في العقيدة، فخرجت معه للسطح، فبحث معي مسائل أجتهه عليها، ولكنه لم يقنع، وفي التدريج صار يحضر جلساتنا بصفة مستمع ثم شارك الطلبة، وجَدَّ في الطلب، وثابر عليه، وصار من أمثل الطلبة^(٢)). فهكذا استل الشیخ عبدالرحمٰن السعدي سخيمة قلب هذا الطالب النجيب، وعامله بالرفق والنصح والشفقة، حتى بلغ مراتب علياً في العلم والقضاء.

(١) مجموع الفوائد واقتضاص الأوابد. عنایة: سعد المصمیل. ص: ٢٥٥، ط: دار ابن الجوزي. الأولى ١٤١٨هـ.

(٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين. محمد بن عثمان القاضي. (٢/٣٠٦). ط: الحلبی ١٤٠٣هـ.

المعلم الخامس: الأدب وعفة اللسان.

أدب الله عباده المؤمنين بجملة من الآداب القولية، فقال لبني إسرائيل:
﴿وَقُولُوا لِلثَّالِثِ حُسْنَا﴾ ، [البقرة: ٨٣]، وبذلك أمر هذه الأمة، وعلل أمره
قائلًا: **﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَنَّى هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَغَرَّبُ بِنَفْسِهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾** ، [الإسراء: ٥٣]. كما وصف عباده الذين اختصهم، وأضافهم إلى
نفسه، فقال **﴿وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَسْعُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُنَّا وَإِذَا حَاطَبُوهُمْ أَجْهَلُوهُنَّ﴾** ، [الفرقان: ٦٣]، ثم أتبعه بمزيد وصف، فقال: **﴿وَإِذَا مَرُوا بِالْغَوَّ مَرُوا كِرَاماً﴾** ، [الفرقان: ٧٢].

ويُجمع من عرف الشیخ وحالته، على سمو أخلاقه، وعفة لسانه، وعدویة
منطقه وبيانه. وقد استعمل هذا المسلك مع المخالف فضلاً عن الموافق. ومن
شواهد ذلك في مسائل الاعتقاد، أن سئل عن الأمور التي يحكم على الإنسان
فيها بالبردة والخروج عن الإسلام، فأجاب جواباً مفصلاً، جاء فيه: (وكذلك
المعتزلة والجهمية، معروف معاملة الأئمة لهم، وأنهم مع شدة إنكارهم لبعدهم،
لم يخرجوهم من دائرة الإسلام، ويحكموا لهم بأحكام الكافرين، مع أن بدعهم
مشتملة على تكذيب نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، ونفي صفات الله، وعلوه
على خلقه، وما أشبه هذا من الأصول العظيمة التي قررها الكتاب والسنة. ومع
إنكارهم وتحريفهم ومعاملتهم لأئمة أهل السنة تلك المعاملة القبيحة، لم
يکفروهم، مع أنهم صرحو أن مقالاتهم كفر، ومشتملة على الكفر، وذلك لأجل
تأویلهم وجھلهم. وكذلك كثير من شارکوهم في كثير من أصولهم؛ كالأشعرية،
والماتريدية، ونحوهم) ^(١).

(١) إرشاد أولي البصائر والأباب لنبيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب بطريق مرتب على السؤال
والجواب. ص: ١٦١ ط: دار أشبيليا.

وقد جرى في جوابه هذا مجرى أهل السنة في عدم تكفير المعين؛ العاجل والمتأول، مع وصف المقالة بالكفر. إلا أن بعض معاصريه، من أهل العلم، خالقه وعنه عليه، فأشار الشیخ في بعض مکاتباته لتلميذه الشیخ عبدالله بن عقیل، -رحمه الله-، إلى هذه الواقعة بالعبارات التالية: (من مدة كم شهر، وصلني كتاب ...، وإنكاره في شدة عظيمة، فرددت كلامه بلطف، وأحلته بهذا التفصیل على کلام الشیخ^(١)، وابن القيم، ولم أناقشه في شدته، ولا حاسبته على الفاظه غير اللائقة، لأنی ظهر لي أن البحث والتتمادي معه ما له ثمرة ولا نتيجة. ثم جاءني كتاب أشد من الأول، ويزعم أن هذا التفصیل مخالف لمذهب الأمة، وأنه باطل متناقض، وأننا أتينا بمنکرات وطامات إلى آخر ما ذكر! کلام يعجب الإنسان کيف یصدر من يتنسب للعلم من دون أن یعرف ما عند صاحبه، ومن دون أن نقابلہ)^(٢).

(١) ی يريد شیخ الإسلام ابن تیمیة، -رحمه الله-، ک قوله: (وَمَنْ قَالَ إِنَّ النَّقِيرَيْنَ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكُفُرُ كُفُراً يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَلِ فَقَدْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنْنَةَ وَإِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ بَلْ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ = = الْأَرْبَعَةُ وَغَيْرُ الْأَرْبَعَةِ فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ كَفَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ النَّقِيرَيْنَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّمَا يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِعْضُ الْمَقَالَاتِ) مجموع الفتاوى (٧ / ٢١٨)، و قوله: (وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ يَنْقُضُ التَّجَھِيمَ كَالْمُعْتَرَى لَهُ وَتَخْرِيمَ الَّذِينَ يَتَنَوَّثُونَ بِدِينِ الإِسْلَامِ بِاطِّنًا وَظَاهِرًا تَهْوِلَهُ مِنْ أُمَّةٍ مُّحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَارِزِيبِ. وَكَذَلِكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ كَالْكُلَّابِيَّةِ وَالْكَرَامِيَّةِ)، مجموع الفتاوى، (١٧ / ٤٤٨).

وقوله: (فَإِنَّ كَانَ مِنَ النَّقِيرَيْنَ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِنَّهُ مَا مِنْ فِرْقَةٍ إِلَّا وَفِيهَا حَلْقٌ كَبِيرٌ لَيْسُوا كُفَّارًا، بَلْ مُؤْمِنِينَ فِيهِمْ ضَلَالٌ وَذَنْبٌ يَشَجَّعُونَ عَلَيْهِ الْوَعِيدَ، كَمَا يَسْتَحْقُهُ عُصَمَاءُ الْمُؤْمِنِينَ. وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يُخْرِجْهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، بَلْ جَعَلَهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُمْ يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ، فَهَذَا أَصْلُ عَظِيمٍ يَنْبَغِي مُرَايَاتُهُ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَسَبِّسِينَ إِلَى السُّنْنَةِ فِيهِمْ بَذْعَةٌ، مِنْ جِنْسِ بَذَعِ الرَّافِضَةِ وَالْخَوارِجِ) منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٤١).

(٢) الأجوية النافعة عن المسائل الواقعية. (ص: ١١٦-١١٧).

فقد لزم الشيخ كلمة التقوى، وترفع عن الخصومة والإسفاف في القول، ولم يقابل الإساءة بمثلها، بل قابلها بالتي هي أحسن.
المعلم السادس : التغليظ على الملاحدة والباطنيين.

عاش الشيخ عبد الرحمن السعدي، -رحمه الله-، حقبةً عصيبة، اجتاحت الأمة الإسلامية، تمثلت في الهجمة الاستعمارية على الأقاليم الإسلامية، وما صاحبها من نشر للضلالات الفكرية والإلحاد، عزّزه انبهار بالحضارة المادية والمخترعات الحديثة، فزلزلت قلوب، وزاغت أبصار، وزلت أقدام بعد ثبوتها. فاستشرف، -رحمه الله-، لكمال نصحه، ووفر همته الآفاق، واستطلع الماجريات خارج إقليم نجد، واستجلب الكتب والمجلات السيارة، مهتماً بأمر المسلمين. وصادف أطيافاً من الموافقين والمخالفين، فميز بين كل طبق، وأنزل الناس منازلهم.، وعامل كل أحد بما يليق به. بينما يغلب عليه اللطف والرفق بالمخالف في الأمور الاجتهادية، وما يسوغ فيه الخلاف، نجده حداً صارماً، ولساناً قاطعاً في تعامله مع الزنادقة والملاحدة والباطنيين. وبهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي جَاهَ الْكُفَّارَ وَالْمُتَنَاهِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسِّرْ الْمَصِيرُ﴾ [التوبه: ٧٣].

وكان، -رحمه الله-، يعقب هذا الصنف من المسلمين، ويحذر منهم في مواطنهم كي لا يضلوا المسلمين. وكان يقتني «مجلة المنار» لصاحبها السيد محمد رشيد رضا، -رحمه الله-، ويودع أعدادها في «مكتبة عنيزه الوطنية» التي أسسها في جامعها الكبير، ويراسل صاحبها.

وقد كتب رسالة مطولة، بل مقالة منشورة في رجب سنة ١٣٤٦هـ، استهلها بالتحية والتودد لصاحب المنار، والشكراً والثناء على المجلة، وأتبعه بالاقتراح

فائلًا: (ثم إننا نقترح على جنابكم أن تجعلوا في مناركم المنير بحثًا واسعًا لأمر نراه أهم البحوث التي عليها تعولون، وأنفعها لشدة الحاجة، بل دعاء الضرورة إليه، ألا وهو ما وقع فيه كثير من فضلاء المصريين، وراج عليهم من أصول الملاحظة والزنادقة من أهل وحدة الوجود والفلسفه، بسبب روجان كثير من الكتب المتضمنة لهذه الأمور، ممن يحسنون بهم الظن؛ ككتب ابن سينا، وابن رشد، وابن عربي، ورسائل إخوان الصفا، بل وبعض الكتب التي تنسب للغزالى، وما أشبهها من الكتب المشتملة على الكفر برب العالمين، والكفر برسله وكتبه واليوم الآخر، وإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام. بعض هذه الأصول انتشرت في كثير من الصحف المصرية، بل رأيت تفسيرًا طبع أخيرًا منسوبًا للطنطاوى، قد ذكر في مواضع كثيرة من تفسير سورة البقرة شيئاً من ذلك؛ ككلامه على استخلاف آدم، وعلى قصة البقرة، والطيور، ونحوها، بكلام ذكر فيه من أصول وحدة الوجود، وأصول الفلسفه المبنية على أن الشرائع إنما هي تخيلات، وضرب أمثال، لا حقيقة لها ... وكذلك يبحث كثير منهم في الملائكة والجن والشياطين، ويتأولون ما في الكتاب والسنة من ذلك؛ فيزعمون أن الملائكة هي القوى الخيرية التي في الإنسان، فعبر عنها الشرع بالملائكة! كما أن الشياطين هي القوى الشريرة التي في الإنسان، فعبر عنها الشرع بذلك! ولا يخفى أن هذا تكذيب الله ولرسله أجمعين ... وقد ذكر لي بعض أصحابي أن «مناركم» فيه شيء من ذلك^(١).

ولعله بذلك يشير، بهذا الكلام الأخير، إلى ما وقع من الشيخ محمد عبده، الشيخ محمد رشيد رضا، من مجازفات وتأويلات مغربة؛ كتأويل الملائكة بقوى الخير، والشياطين بقوى الشر، وتأويل سجود الملائكة لآدم بتسخير قوى الأرض للإنسان، وامتناع إبليس عنه بقوة إغراء الشر، وتأويل معصية آدم إلى أطوار البشرية

(١) مجلة المنار: ج ٢، م ٢٩، ص: ١٤٤. وانظر: مجموع مؤلفات السعدي: (٦ / ٨٥-٩٠).

من طفولة، تميّز ناقص، رشد، واستواء، وتأویل خلق عیسیٰ، عليه السلام، باعتقاد قلبی قوي، وإحياء الموتى بالإحياء المعنوي، ونفيه السحر، وتأویل النفائس في العقد بالنمامين، والطیر الأبابيل بالبعوض والذباب، والحجارة من سجيل بجرائم الجدری والحصبة^(۱).

وقف الشیخ عبدالرحمٰن السعدي، -رحمه الله-، موقفاً حازماً من هذه التأویلات الباطلة، التي راج سوقها إبان الانهيار بالمادية العقلانية الغربية التي دقت على البلاد الإسلامية مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ولم تأخذ في إنكارها لومة لائم، أو الإغضاء لمصلحة مزعومة، أو تأليف موهم.

كما نجد نفس الشیخ عبدالرحمٰن السعدي، في رده على القصيمي، حادداً، خلاف ما هو معهود عنه في كتاباته من اللين والرفق. وما ذاك إلا لاختلاف المقام. ودونك بعض العبارات التي وردت في رده المباشر عليه، ابتداءً بعنوانه: (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراء القصيمي في أغلاله) : (من نظر فيه وتأمله حق تأمله، عرف أنه ما كتب أشد وطأة، وأعظم عداوة، ومحاربة للدين الإسلامي، ومنفراماً منه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب، وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل، ولا افترى مفتر على الدين كافترائه، ولا حرف أحد له نظير تحريفاته، وما صرخ أحد بالواقحة والأسهزة والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته^(۲)). ومن العبارات الغليظة التي استعملها في الرد عليه: (فيما يوحه، ما أخسر صفتة، وأقل حياء! ... فكيف لا يستحي من هذه البهرجة والتناقض؟! أيظن الناس كالبهائم العجم التي لا تفهم شيئاً، أم سحر عقله فصار يهذي بالباطل، وبما يغلى به صدره من الغل والإلحاد!! ... ومن تمويهاته الشنيعة ... ومن تأمل

(۱) الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقديم. غازي التوبة. (ص: ۵۲-۶۴)، ط: دار القلم.

(۲) تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراء القصيمي في أغلاله. مجموعة مؤلفات السعدي: (۱۶۶/۶)

كتاب هذا المنحرف ... ومن بحوث هذا الكاتب الخبيثة ... وكذلك من مباحث هذا الكتاب الضارة، التي بلغت في الفظاعة، ووصلت في الخلاعة مبلغاً ... وهذا المفترى ... ومن تحريفاته التي تقشعر منها الجلد ... ومن جرأته العظيمة ... ومن انحرافاته الفظيعة ... ومن جملة مقالاته الشنيعة الفاضحة) ^(١).

ومن عميق فقهه في الرد على المخالفين، النظر إلى حال المخاطبين بالرد، فتراه يعلق على كتاب الشيخ محمد عبد الرزاق حمزه، -رحمه الله-، في الرد على القصيمي، قائلاً: (وطريقته فيه أنه ينقل كلام القصيمي ويفنده، ويذكر عليه العبارات التي استقاها وأخذها من كتب الملحدين، ورد بعض الملحدين على بعض، وتناقضهم في الأمور التي يزعمونها يقينية فضلاً عن غيرها. وإن صار الكتاب من هذا الجنس فهو نافع جداً خصوصاً لأهل الأ MCS الراييج بينهم كلام الملحدين وأصطلاحاتهم، وأما أهل نجد فهو صعب على أكثر الناس، وفيه أدنى فائدة) ^(٢)، ولعمر الله إن ذلك لمن الفقه!

كما يبدو أن الشيخ يتحفظ من نقل كلام الملاحدة الغربيين منسوباً إليهم، فيقول في رسالة شخصية ل תלמידه ابن عقيل: (وحقيقةً أننا ما تقصينا جميع ما في «الأغالل» من الانحرافات، تركنا أموراً ثانوية، إنما ذكرنا الشيء الضروري والأصول العظيمة، وربما أن الشيخ يشير إلى ما ذكرنا عن القصيمي من جهة رأيه في مبدأ الإنسان، وأنه مقرر مذهب «دارون» الانقلزي، أن الإنسان الأول أوله قرد، وصاحب الأغالل لم يذكر ويصرح بهذا المذهب وينسبه لدارون، ولكن تقريره في الأغالل هو حقيقة ذلك المذهب بلا ريب ولا شك. مع أن ذكر «دارون» في

(١) المصدر السابق: الصفحات على التوالي: (١٧٦، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠١).
(٢) ٢٠٦.

(٢) الأرجوحة النافعة عن المسائل الواقعية. (ص: ٢١٢-٢١١).

كتابنا من زيادة المصححين؛ الشيخ محمد عبد الرزاق، وأبي السمح. أنا ما أشك أن كلام القصيمي يذهب ذلك المذهب. وذكرت ما يحتوي عليه ذلك القول من تكذيب الكتب والرسل في أن الإنسان مبدأه آدم وحواء، وما أحب التصرير بالنقل عن هؤلاء الملاحدة؛ «دارون» والنقل الآخر الذي زادوه عن الفنساوي الذي يقول: ما رأى التاريخ أعدل وأرحم فاتحًا من العرب، أو نحو ذلك. فذكر هذين الشخصين في كتابنا من اجتهاد المصححين. ولو لا أن المعنى صحيح لنبهت على النسخ التي وصلت إلي، ولراجعت محمد عبد الرزاق. ولكن المعنى هو الحق، ومن طالع كتاب القصيمي عرف ذلك صريحاً^(١).

المعلم السابع: العدل والإنصاف

إن من أجل القيم التي ورد الشرع بتعزيزها: «العدل» في جميع الأمور، ونبذ الظلم والحيف وغمط الحق. قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾،
[النحل: ٩٠]، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْكَانَ ذَاقُرَفَ﴾، [الأنعام: ١٥٢]،
وقال: ﴿وَلَا يَجِدُ مِنَكُمْ شَكَارًا قَوِيمًا عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَنَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَسِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، [المائدة: ٨]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا
كُوْنُوا قَوِيمَنِي بِالْقِنْطِيطِ شُهَدَةً لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ
فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَنْهِيُوا الْمُهَاجَرَةَ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَأْتُوا أَوْ تُعِرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا عَمَلُونَ
حَسِيرًا﴾، [النساء: ١٣٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ
عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْنَا يَدِيهِ يَمِينُ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي

(١) الأرجوحة النافعة عن المسائل الواقعة. (ص: ١٥٧-١٥٩).

حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وَلُوا)، رواه مسلم^(١).

وأولى الناس باتباع هذا المنهج ورثة الأنبياء، من العلماء الربانيين. وهو منهج مطرد مع الموافق والمخالف. وقد قرر الشيخ هذا المعنى، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَةَ﴾، [الأنعام: ١٥٢]: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ قولًا تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال ﴿فَأَعْدِلُوا﴾ في قولكم، بمراعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه، أو في مقالته، من الظلم المحرم. بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبعدها منه. وذكر الفقهاء أن القاضي يجب عليه العدل بين الخصمين، في لحظه ولفظه^(٢).

كما أنه التزم في نفسه مع مخالفيه، فرغم بعاجة ما فاه به «القصيمي» من كفر وإلحاد، ونيل من أهل العلم وحملته، فقد أثبت الشيخ، -رحمه الله-، أنه قد يقول شيئاً صحيحاً، فقال: (ونحن لا ننكر ما في كلامه وكتابه من المعاني الصحيحة المطروقة، التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويدونها، من الحث على تعلم العلوم، وفنون الصنائع النافعة، وما فيه من ذم الجهل وآثاره الضارة، وما فيه من تأخر المسلمين في الفنون العصرية، وما فيه من وصف تفوق غيرهم في فنون المادة، فقد ذكر أهل العلم من هذه الأمور أكثر مما ذكر هذا الرجل، ولم يبين ما بينون، ولا

(١) صحيح مسلم. رقم (٤٧٢١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن: (١/٥٢٤).

شرح الداء الذي أصاب المسلمين حقيقة، ولا كيفية الدواء^(١).

المعلم الثامن: التماس العذر

إن من شأن المؤمنين التعاذر، والتغافر، والصفح، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَعْفُوا
وَلَيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَن يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُثُرَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، [النور: ٢٢]، وقال: ﴿وَإِن
تَعْمَلُوا تَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، ووصف التابعين
بإحسان فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُم مِّنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِلَهُنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا إِلَى الْبَيْنَ وَلَا يَحْمِلُ فِي قُلُوبِنَا غَلَلًا لِلَّذِينَ أَمْنَأْتَنَا إِنَّكَ رَبُّ رَّحِيمٌ﴾، [الحشر: ١٠].
وفي الصحيح: (لَا أَحَدَ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرَ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ
وَالْمُنذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمِذْكَرَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ)
متافق عليه^(٢).

وقد تحلى الشيخ، عبدالرحمن السعدي، بهذه الحلية الإيمانية، فلم يدع قلبه
مستودعاً للشحنة والحفطة مع مخالفيه، بل كان يبادر إلى انتزاع الغل، وتنقية
السرائر، وإحلال المودة في القلوب، وحمل المخالف على أحسن المعامل الممكنة.
ومن شواهد التماسه للعذر، وتصور حال المخالف، ما جرت الإشارة إليه
آنفًا من تهجم أحد معاصريه عليه بكتابة غليظة، وتعنيف متكرر، قابلة بلفظ وبيان،
ثم قال معلقاً على الحادثة: (لهذا ما أحبت أتمادي معه في البحث الطويل ... لأن
الظاهر أنه - إن شاء الله - مهوب^(٣) كله هو، لأنني ما أعرفه ولا يعرفي، ولا جرى

(١) تزييه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيسي في أغلاله. انظر مجموع مؤلفات السعدي:

(٢) ١٦٤/٦

(٣) صحيح البخاري. رقم (٦٨٤٦)، صحيح مسلم. رقم (٣٧٦٤).

(٣) لهجة عامة تعني: ما هو بكل ذلك.

يبيني وبينه قبل هذا أدنى مكاتبة، وإنما حمله على ذلك أنه انعقد في فكره هذا الذي يراه في تكفير جميع الجهمية والمعتزلة، من غير فرق بين المعاند وغيره، ولم يعرف كيف الطريق إلى إنكار ما اعتقاده منكراً، فجاء بهذه الطريقة التي ليس لها مقدمة، ولا جرى من صاحبه عناid يوجب له ما أوجب. نرجو الله أن يوفق الجميع للكل خير^(١). وقد أورد فائدة تربوية في كتابه (مجموع الفوائد) عنون لها بـ (قصة طريقة بعض أهل العلم) جاء فيها: (يعجبني ما وقع لبعض أهل العلم، وهو أنه كتب له آخر من أهل العلم والدين يتقدّم انتقاداً شديداً في بعض المسائل، ويزعم أنه مخطئ فيها، حتى إنه قدح في قصده ونيته، وقال: مع ذلك: إنه يدين الله ببغضه بناءً على ما توهم من خطئه، فأجاب المكتوب له:

اعلم يا أخي أنك إذا تركت ما يجب عليك من المسودة الدينية، والأخوة الإسلامية، وسلكت ما يحرم عليك من اتهام أخيك بالقصد السيء، على فرض أنه أخطأ، وتجنّبت الدعوة بالحكم في مثل هذه الأمور؛ فإني أخبرك قبل الشروع في جوابي لك ما انتقادته علىي أني لا أترك ما يجب عليَّ من الإقامة على موتك، والاستمرار على محبتك، المبنية على ما أعرفه من دينك انتصاراً النفسي، بل أزيد على ذلك بإقامة العذر لك بقدرتك في أخيك، أني أعرف أن الدافع لك على ذلك حسن قصد، لكن لم يصحبه علم يصححه، ولا معرفة تبين مرتبته، ولا ورع ورأي صحيح يوقف العبد عند حده الذي أوجبه الشرع عليه. فلحسن قصدك المتمحض، أو الممتزج بشيء آخر، قد عفوت لك عما كان منك إلَيَّ من الاتهام بالقصد السيء^(٢).

(١) الأجوية النافعة عن المسائل الواقعة. (ص: ١١٧ - ١١٨).

(٢) مجموع الفوائد واقتراض الأوابد. عنابة: سعد الصميل. (ص: ٤٣)، ط: دار ابن الجوزي. الأولى ١٤١٨ هـ.

المعلم التاسع: الدعوة للحق وجمع الكلمة

أمر الله عباده المؤمنين بالاعتصام بحبه والاتلاف، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، وامتن عليهم بذلك، فقال سبحانه: ﴿وَأَغْصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا وَإِذَا كُرِّوا يَعْمَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَالَّذِي بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَضْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْرَاجَنَا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاعَ حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ مَا يَتَبَرَّأُونَ﴾ [١٠٣] ، [آل عمران: ١٠٣] ، وقال: ﴿وَالَّذِي بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ حَبِيبًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [١٢] ، [الأنفال: ٦٣] .
وذم أهل التفرق والشذوذ، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْبَيْتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١٥] ، [آل عمران: ١٠٥] ، وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا يُشَيِّعُونَ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ مُمِّلِّيَنَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٦] ، [الأنعام: ١٥٩] .

وقد أدرك العلماء الربانيون هذا المقصود الأصيل من مقاصد الشريعة، فنأوا عن اللغط، والشغب، والتحزب، والاختلاف، وغلبوا جانب الوحدة والاتلاف ما وسعهم الحال. قال، -رحمه الله-، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَأْنَا بَيْنَ إِنْسَانٍ يَلْمُدُ صَدِيقَ وَرَزَقَنَاهُمْ مِّنَ الْأَطْيَابِ فَمَا أَخْلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ بِنَهْمَ يومَ القيمةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [٩٣] ، [يونس: ٩٣]: (هذا هو الداء الذي يعرض لأهل الدين الصحيح، وهو أن الشيطان إذا أعجزوه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض، وعداوة بعضهم لبعض ما هو فرة عين اللعين. وإنما، فإذا كان ربهم واحداً، ورسولهم واحداً، ودينهما واحداً، ومصالحهم العامة متفقة، فلا ي شيء يختلفون اختلافاً يفرق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطهم ونظامهم، فيفوت من مصالحهم الدينية والدنوية ما يفوت، ويموت

من دينهم، بسبب ذلك، ما يموت؟! فسائلك اللهم لطفاً بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم، ويرأب صد عهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام^(١).

ومن شواهد ذلك، نقهـة، -رحمهـ اللهـ، ما كان يجري من بعض الغـيورـين في بلـدـتهـ، من التـحـزـبـ المـذـمـومـ، الـذـيـ يـلـبـسـ ثـوـبـ العـقـيـدـةـ وـالـدـيـنـ، كـمـاـ جـرـىـ فـيـ قـضـيـةـ الدـنـاصـورـيـ، آـنـفـةـ الـذـكـرـ^(٣)، فـقـالـ مـعـقـبـاـ: (أـمـاـ أـنـاـ فـقـدـ بـيـنـتـ لـكـلـ مـنـ سـائـلـنـيـ عـنـ الـقـضـيـةـ صـورـةـ الـوـاقـعـ، وـأـنـهـ لـاـ يـحـلـ الدـخـولـ فـيـ هـذـهـ الـأـحـزـابـ الضـارـةـ، وـبـيـنـتـ أـنـ الـوـاجـبـ عـلـىـ النـاسـ اـحـتـرـامـ مـثـالـ هـؤـلـاءـ الـذـيـنـ لـمـ نـعـشـ مـنـهـمـ عـلـىـ مـاـ يـتـقـدـ، وـأـنـهـ لـوـ فـرـضـ ذـلـكـ، لـوـ جـبـ نـصـيـحـتـهـمـ سـرـاـ، وـلـمـ يـحـلـ السـعـيـ فـيـ السـعـيـاتـ الضـارـةـ الـتـيـ تـبـرهـنـ عـنـ مـقـصـودـ صـاحـبـهاـ، وـتـبـرهـنـ عـلـىـ أـنـ الـذـيـ هـمـهـ السـعـيـاتـ بـمـثـلـ هـذـهـ الـأـمـورـ؛ أـنـهـ أـجـبـنـ النـاسـ عـنـ النـصـيـحـةـ وـالـمـشـافـهـاتـ، وـأـشـجـعـهـمـ فـيـ القـوـلـ بـمـاـ لـاـ يـعـلـمـ، وـالـسـعـيـاتـ.

ولكن كثيراً من دخلوا في هذا الحزب، وهم أصحابنا الذين نعرف بفضلهم،
إذ انصحناهم ببعوا هواهم، ولم يقبلوا النصيحة، ويرروا موقفهم بشرح حالة الحزب
الأول، فنقول لهم: لا تقابلوا الفاسد بالفاسد، فيزداد الأمر شرّاً كما وقع. فنرجوا
الله تعالى لنا ولهم ولجميع المسلمين الهدى والاستقامة، وأن يحفظنا وإياكم من
مضلات الفتنة، ما ظهر منها وما بطن. إنه جواد كريم^(٣).

وطبق ذلك على نفسه، في حادثة مشهورة، جرت له سنة ١٣٥٩ هـ، إثر تأليفه رسالة في حقيقة ياجوج ومأجوج، فاستنكرها بعض المخالفين، وسعوا، دون مراجعة الشيخ ومحاجته في فحواها، لدى بعض المشايخ وولاة الأمر، وعظموا

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٢/٧٣).

(٤) (٢) انظر ما تقدم: (ص : ٤).

(٣) الأحوية النافعة عن المسائل الواقعية. (ص: ٢٥٠).

الأمر، وشنعوا على الشيخ، فوردت برقية من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، -رحمه الله-، يطلب حضوره إلى الرياض، مصطحبًا تفسيره^(١). ووصف الشيخ تعاطيه مع هذه النازلة، وتعامله مع مخالفيه، برسالة مبسوطة ل聆ميذه الشيخ عبدالله بن عقيل، رحمهما الله، فقال: (ولابد بلغك سفرنا للرياض، وأسبابه، ونتائجها، وأنه باستدعاء مستعجل من الملك، لنحضر، ونحضر معنا التفسير؛ لا بد أحد معرض علينا، وفعلاً بادرنا للحضور، وإحضار التفسير، فرأه بعض المشايخ فاستحسنوه، ولم يحصل بحث في مسألة واحدة أصلًا. ولكن المشايخ، جزاهم الله خيرًا، حصل منهم من إكرامنا فوق ما يظن الظان، والملك قال بحضور الجميع، قال: إنه ما بينك وبين المشايخ، من فضل الله، أقل اختلاف، وأنه لم يعرض عليه أحد من الحاضرين، ولا من غيرهم، فأبديت له الشكر، وأني ممنون؛ إذا رأى أحد علي خطأ أن ينبهني، فإني ممنون بذلك من صغار الطلبة، فضلاً عن المشايخ الذين هم أئبّة^(٢) للعرب).

وحصل للناس انزعاج من سفري، وطلب الجماعة أنهم يراجعون في، أو يرکبون معى، فمنعتهم وأخبرتهم أنى لا أكره الحضور هناك، وأنه لا بد أن يحصل فيه مصالح، فوقع، للحمد، كما ظنت، وحصل التعارف التام مع المشايخ، وأقمنا في الرياض ستة أيام، ثم رجعنا بصحبة الملك إلى الوطن، مسرورين، راجين المولى أن يتم نعمه على الجميع، وأن يحسن العواقب لنا ولكلم في الدنيا والآخرة.
أخبرتك بحصول ذلك، خوفاً أن يصور على غير صورته^(٣).

(١) انظر تفاصيل القصة في : (رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج) د. أحمد القاضي. (ص: ٥٠-٤٦)، ط: دار ابن الجوزي. الأولى ١٤٢٤ هـ.

(٢) لهجة عامة، تعنى: آباء.

(٣) الأجوية النافعة عن المسائل الواقعية. (ص: ٩٨-٩٩).

ويذكر معاصره أنه إثر رجوعه معززاً مكرماً، برفقة الملك، عمد إلى أكبر مخالفيه الذين سعوا فيه، فزاره في بيته، ولاطفه، وقال له: كلاماً مجتهد، وكلانا على خير، وليس في الخاطر شيء. وبلغه عن آخر، أن والده هجره بسبب سعايته، فقصد والده، وألحَّ عليه في الصفح عنه، وصلته.

وجاء في رسالة بعث بها الشیخ عبدالله بن محمد العوھلي، إلى زميله الشیخ عبدالله بن عقیل، رحمهما الله، وصادف قدوم الشیخ وجوده في الرياض، أن الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وجه الكلام للشیخ عبدالرحمٰن السعدي، في لقائه المعتمد بالمشايخ، يوم الخميس، قائلاً: (هذولاً^(١) إخوانك المشايخ، تراهم والله ما قالوا فيك ولا كلمة، وإنهم والله يمدحونك، وأفعالك جميعها جایزة لنا^(٢)). ورد قوله: إن المشايخ ما قالوا فيك ولا كلمة؛ لا الحاضر منهم ولا الغائب، وأنهم يثنون عليك، ويحبونك. إلى أن قال: فقط، اتركوا البحث في يأجوج وأرجوج، لأنه فيه تشويش على الناس بلا فایدة. قال الشیخ: إني دعيت له^(٣)، وقلت لا بأس، أنا قلت هذا اجتہاد مني، ولا ظننت أنه يحصل فيه تشويش. والآن ترك البحث فيه؛ ولا هي مسألة حلال أو حرام، والأمر خفيف)^(٤).

وهذه الحادثة تكشف عن المستوى الرفيع للعلماء والولاة في التعامل مع الخلاف، وحرصهم على رأب الصدع، وجمع الكلمة. وتكشف عن سعة أفق الشیخ عبدالرحمٰن السعدي، ورحابة صدره، وحسن تقديره للمصالح والمفاسد،

(١) لهجة عامية، تعني: هؤلاء.

(٢) لهجة عامية، تعني: محل قبولنا ورضاننا.

(٣) لهجة عامية، تعني: دعوت له.

(٤) نقاً عن: رسالتان في فتنة الدجال وياجوج وأرجوج. (ص: ٤٩).

دفع ما يوجب الخلاف والتشویش بين المسلمين.

وقد صنف، -رحمه الله-، رسالة بعنوان (الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف)، وظل يردد هذه المعانى في ثنايا كتبه، دون كلل أو ملل. على أن الشيخ، -رحمه الله-، لا يقصد بجمع الكلمة، الاجتماع الصورى، بل الاجتماع المؤسس على التواصى بالحق والصبر، المثير للتعاون على البر والتقوى، فلا يستدخل أصحاب الأهواء والبدع المحققة. قال، -رحمه الله-: (ومن أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل العلم، ألا يجعلوا الاختلاف بينهم في المسائل الدينية، التي لا يخرج المخالف فيها إلى البدع أو الشرك، سبباً وداعياً إلى التفرق وتشتيت القلوب، ومحاجةً للقبح والطعن بسببيها، والموالاة والمعاداة عليها، فإن هذا ظلم وتعذير لا يحل بإجماع المسلمين، فما زال السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم يختلفون في مسائل الدين، ولا ينكر بعضهم على بعض، ولا يجب بعضهم على بعض أن يتبعه وإنما ضلل الله! فإن هذه مرتبة لا تصلح إلا للرسل؛ فهم الذين يُضلّل مخالفهم، وأما من عداهم فلم تضمن له العصمة)^(١).

المعلم العاشر: التأليف والنشر

توفرت المطبوعات في القرن الرابع عشر الهجري، وجرى طباعة كثير من الكتب وتداولها في البلاد الإسلامية. وقد اغتنم الشيخ هذا الفتح الرباني في نشر علمه، ونفع المسلمين، رغم قلة ذات يده، وصعوبة المراسلات والاتصالات. وكان يتبع طباعة مؤلفاته ونشرها بنفسه. ومن جملة ما استعمله في الرد على المخالفين

(١) الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف. تحقيق: عبدالله المسلم. (ص: ٣٣-٣٤)، ط: دار التوحيد. الأولى ١٤٢٩ هـ. وانظر أيضاً: مجموع مؤلفات السعدي: (٢٦ / ٧٦) ط: الميمان.

المتمحضين للباطل، تأليف الردود المفحمة، في رد شباهتهم وإلحادهم.
فحين نشر المرتد عبدالله بن علي القصيمي كتابه (هذه هي الأغلال)، أحدث
دوايًّا في المنطقة العربية المتاخمة؛ مصر والشام ولبنان وال العراق والجزيرة العربية،
وطفق دعاة الإلحاد والشيوخية يبثونه في أوساط الناس، وضاقت صدور المؤمنين،
سيما ومؤلفه من كان يتسبّب للعلم والتوحيد، وله في ذلك صولات وجولات.
وكان السعدي، -رحمه الله-، يرى ضرورة (الأمن الفكري)، و (الحجر
الصحي) لصيانة العقول من نشر دعایات الكفر والإلحاد، وأن ذلك من جملة
الأحكام السلطانية، فقد قال، بعد تعريف بمضامين «الأغلال»: (فنؤمل أن
حاكمتنا يوفّقها الله تعالى للمنع الصارم لتسرب نسخ هذا الكتاب للمملكة، وإن
كان - والله الحمد والمنة - في المشايخ والمتصرين برّكة بإيقاف الأغرار على ما
في كتابه من الأمور الضارة في الدين، ولكن على كل حال، إبعاد مثل هذا الكتاب
عن المملكة أهون شرًا، لأنّه يوجد شبيبة لا رأي لهم، ويرغبون في الكتب العصرية،
وقراءة الصحف، فخطره عظيم على أمثال هؤلاء. ونرجو الله أن يقمع الملحدين،
 وأن ينصر دينه وكتابه وعباده المؤمنين، إنه جواد كريم)^(١)

غير أنّ الشيخ، -رحمه الله-، لم يكتف بالأسى والتهليل، بل امتنق قلمه،
وسئَّه على القرطاس، وأخرج ردًا علميًّا ماحقاً لشباهات القصيمي، سماه: (تنزيه
الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله)، ثم أرده بكتاب آخر سماه:
(الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين).

كما ألف رسائل أخرى في التحذير من النوازل العقدية والفكريّة، مثل:
(النصيحة الربانية في الرد على المغترِّين بدعّاة الإلحاد والمدنية الغربية) وتسمى

(١) الأُجوبة النافعة عن المسائل الواقعة. (ص: ١٥٢-١٥٣).

أحياناً: (انتصار الحق).

وكما كان الشيخ حريصاً على التأليف والطباعة، كان حريصاً على النشر، وإيصال الكتاب إلى ذوي الشأن في الآفاق؛ ففي رسالة بعث بها إلى تلميذه ابن عقيل، رحمة الله، يقول: (أحسنت الإفادة عن كتاب الرد على القصيمي، وحنا^(١) أرسلنا بعده للشيخ محمد^(٢) نسخة، والبعض الأمراء على نسخة منه، ولا بقي من الذي عندنا إلا نسخة جعلناها في المكتبة، لأنني أرسلت لبريدة نسخة للشيخ ابن حميد، ونسخة لمكتبة بريدة. والشيخ محمد نصيف، جانا منه مراجعة، يقول إن الكتاب على وشك النفاد، أو قد نفد، لأنه فرق في الخارج)^(٣).

وقد كتب الله لتراث الشيخ، -رحمه الله-، القبول والانتشار، وقرئت كتبه في المساجد والمحافل، وشرحت في الدروس والدورات العلمية، وألفت الرسائل الجامعية، وغيرها، في جوانبها المختلفة. وما ذاك، والله أعلم، إلا لصدق نيته، وكمال نصحه وشفقته، واهتمامه بأمر المسلمين.

(١) لهجة عامة، تعني: ونحن.

(٢) يزيد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتى الديار السعودية. -رحمه الله-.

(٣) الأجرية النافعة عن المسائل الواقعية. (ص: ١٥٥ - ١٥٦).

الخاتمة

لقد كان الشيخ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي، -رحمه الله-، مدرسة في
العلم وال التربية، معاً، يصدق فيه قول الله تعالى: ﴿وَلِكُنْ كُوْنُوا رَبِّيْنِيْغَنْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرِسُونَ﴾، [آل عمران: ٧٩]. استعمله الله تعالى في القرن الرابع
عشر الهجري، الذي كان فترة مخاض عصيبة، ومنعطفاً خطيراً في تاريخ الأمة
الإسلامية، فهذا لأحسن القول والعمل. وقدم، -رحمه الله-، فقهها دقيقاً، وفهمها
عميقاً لمواجهة النوازل العقدية، والتعامل مع المخالفين، على اختلاف طبقاتهم
ومشاربهم. كما يصدق عليه وصف شيخ الإسلام ابن تيمية، -رحمه الله-، حين
وصف أهل السنة والجماعة، فقال: (وأئمَّةُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ
فِيهِمُ الْعِلْمُ وَالْعَدْلُ وَالرَّحْمَةُ، فَيَعْلَمُونَ الْحَقَّ الَّذِي يَكُونُونَ بِهِ مُوَافِقِينَ لِلْسُّنَّةِ،
سَالِمِينَ مِنَ الْبَدْعَةِ، وَيَعْدِلُونَ عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْهَا - وَلَوْ ظَلَمُوهُمْ - كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿يَتَأْلِمُ الَّذِينَ مَأْتُوا كُوْنُوا فَوَيْمَنْ لِلَّهِ شَهَدَاهُ بِالْقِسْطِ وَلَا يَعْجِزُ مَنْ كُنْتُمْ شَنَانُ
قَوْمٍ عَلَى الَّأَنَّ تَعْدِلُوا أَعْدِلُهُمْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، [المائدة: ٨]، ويرحمون الخلق،
فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون لهم الشر ابتداءً، بل إذا عاقبوهم،
وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق،
والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة
الله هي العليا) ^(١).

لقد جمع الشيخ عبد الرحمن السعدي كمالات إيمانية، وعلمية، وخلقية عدّة،
كما أنه التزم منهجاً صارماً في تكييف النازلة العقدية؛ من حيث التثبت والتبيّن،

(١) الاستغاثة في الرد على البكري. شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: محمد علي عجال. ط: مكتبة الغرباء. الأولى، ١٤١٧هـ.

ومن حيث التعلیل على النص والدلیل، والرد إلى الكتاب والسنۃ عند التنازع، واعتضد بالحجۃ العقلیة المقنعة، ثم أتبیع ذلك بمنهج خلقي رفیع من حيث التعامل مع المخالف، فالالتزام العدل والإنصاف، واستعمل الرفق والنصح، وتحلى بعفة اللسان، والبعد عن المهاترات، غير أنه نزل الناس منازلهم، فأغلوظ على من يستحق الغلطة والمخاشنة. وكان أثناء ذلك يلحظ مقصداً عظیماً من مقاصد الشریعة؛ وهو جمع الكلمة، والبعد عن الفرقة، ثم توج جهوده هذه بالسعی، ما أمكنه، لطبع کتبه ونشرها في الخاقین، ليحصل بها عموم النفع.

ولو أن طبیة العلم والدعاة تفطنوا لهذه المعالم العظيمة لاندفع شر عظيم، وارتفاع بلاء مقيم، يقطع أوصال الأمة، ويحيلها شيئاً وأحزاباً. فنسأله، بمنه وكرمه، أن يغفر للشیخ عبدالرحمن السعید، ويرفع درجته في المهدیین، وينفع بعلمه ومنهجه سائر المسلمين. والحمد لله رب العالمین.

المراجع

١. الألجرة النافعة عن المسائل الواقعة، عناية وتعليق: هيثم الحداد، إشراف الشيخ: عبدالله بن عقيل ، ط: الثانية، دار المعالي، ودار ابن الجوزي. ١٤٢٠ هـ.
٢. الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، عبدالرحمن بن ناصر السعدي. ط: مكتبة المعارف. ١٤٠٢ هـ.
٣. إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأساليب بطريق مرتب على السؤال والجواب، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط: دار أشبليا.
٤. الاستغاثة في الرد على البكري. شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: محمد علي عجال. ط: الأولى، مكتبة الغرباء. ١٤١٧ هـ.
٥. أصول العقائد الدينية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تقديم: عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل، ط: الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤ هـ.
٦. البراهين العقلية على وحدانية الله ووجوه كماله، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: باسل الرشود. ط: الأولى، دار ابن الجوزي. ١٤٢٩ هـ.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، عناية: سعد الصميل، ط: الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢ هـ.
٨. الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، ط: الثانية، الرياض، دار السلام ، ١٤٢١ هـ.
٩. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج أبو الحسين القشيري اليسابوي، ط: الثانية، الرياض، دار السلام ، ١٤٢١ هـ.
١٠. الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالله المسلم، ط: الأولى، دار التوحيد. ١٤٢٩ هـ.
١١. رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج، د. أحمد القاضي. ط: الأولى، دار ابن الجوزي. ١٤٢٤ هـ.

١٢. روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين. محمد بن عثمان القاضي.
ط: الأولى، مطبعة الحلبي، ١٤٠٣ هـ.
١٣. الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقدير. غازي التوبة. ط: الثالثة، دار القلم،
١٩٧٧ هـ.
١٤. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،
جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، المدينة المنورة،
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥ هـ.
١٥. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، عنابة: سعد الصميل، ط: الأولى، دار ابن
الجوزي، ١٤١٨ هـ.
١٦. مجموع مؤلفات السعدي، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط: الأولى، دار
الميمان ١٤٣٢ هـ.
١٧. مجلة المنار ، مجلد (٢٩)، جمادى الثانية ١٣٤٧ هـ